PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(02): 690-704
ISSN: 1553-6939

The presence of folk heritage in the novel Ras Al-Muhanna by Ezzedine Glaouji

Dr. Brika Boumada

University of Badji Mokhtar -Annaba- (Algeria), E-mail: samiraboumada@gmail.com

Published: 03/2025

Abstract:

The follower of contemporary novel creativity hints very clearly that attention is paid to the use of folk heritage in the novel's material, and we really feel that the movements of novel authorship have opened up to the sayings of heritage and opened dialogues with it in the arts and aesthetics, drawing from it its heritage material to support furnishing its text in a manner befitting the data of the modern era.

This employment of folklore added a lot of aesthetics and creativity to contemporary novel texts that opened an interesting dialogue with the heritage befitting the modern era and befitting the new reader.

In this article, we stopped at the recruitment of folk heritage through the novel "Ras Al-Muhanna" by Ezzedine Glaouji, trying to get closer to her charming world and her writer's interlocutors about the recruitment of forms of folk heritage, so what is the strategy of this recruitment?" And what is the purpose of drawing inspiration from the elements of folk heritage? To what extent do the employed folk texts correspond to the text of the novel?

Keywords: folklore, Ezzedine Glaouji novel Ras Al-Muhanna.

حضور التراث الشعبي في رواية راس المحنة لعزالدين جلاوجي

د. بريكة بومادة

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: samiraboumada@gmail.com

الملخص:

إن المتتبع للإبداع الروائي المعاصر يلمح بوضوح تام ذلك الالتفات إلى توظيف التراث الشعبي في المتون الروائية، ونشعر فعلا أن حركات التأليف الروائي انفتحت على مقولات التراث وفتحت معه حوارات في الفنيات والجماليات، استقت منها مادتها التراثية لتدعم تأثيث نوصها بما يليق ومعطيات العصر الحديث.

هذا التوظيف للتراث الشعبي أضاف الكثير من الجمالية والإبداع للنصوص الروائية المعاصرة التي فتحت حوارا شيقا مع التراث بما يليق بالعصر الحديث وبما يليق والقارئ الجديد.

توقفنا في مقالنا هذا عند توظيف التراث الشعبي من خلال رواية عزالدين جلاوجي "راس المحنة" محاولين الاقتراب من عالمها الساحر ومحاورين كاتبها حول توظيف أشكال التراث الشعبي، فما هي إستراتيجية هذا التوظيف؟ وماهي الغاية من استلهام عناصر التراث الشعبي؟ وما مدى تناسق النصوص الشعبية الموظفة مع نص الرواية.

الكلمات المفتاحية: التراث الشعبي، عزالدين جلاوجي رواية راس المحنة.

مقدمة

لقد كانت العودة إلى الموروث الشعبي أهم ما ميز الأعمال الأدبية الفنية ، فهو ذاكرة الشعوب وثقافاتهم كونه جزء لا يتجزء من كيان الأمة ومقوم من مقومات الشخصية العربية ورمزا لسيادتها.

هذا التوظيف الذي جاء به الأدباء المعاصرون للموروث الشعبي أثار جدلا واسعا في أوساط المفكرين والمثقفين والفلاسفة ، لتتعدد المواقف والآراء حول ذلك ومدى انعكاسه وتأثيره في الحياة المعاصرة بشكل عام ، في خضم هذه التناقضات والصراعات الفكرية إزاء ما يقدمه هذا التوظيف لحمولات تراثية لا بأس بها في الأعمال الروائية ،و إبراز أهمية الموروث الشعبي في إثراء العمل الروائي وتثمينه ، والهدف من استخدامه بهذا الشكل ، فبعد أن أخذت الدراسات الشعبية حيزا كبيرا من الإهتمام ، أدرك الأدباء أنه ليس مجرد إقتباس وأخذ من التراث وإنما يعكس إخلاص الشعوب لأصلها وعاداتها وتقاليدها.

ولعل سبب اختيارنا لرواية راس المحنة للأديب الجزائري عز الدين جلاوجي يعود لبروز الموروث الشعبي فيها شكلا ومضمونا وتميزها عن غيرها من الروايات بكونها وظفته بطريقة شيقة ، كما حاولت رسم الواقع الجزائري وتصويره تصويرا حيا ، ابتعد الكاتب عن السرد الجامد فجمع بين توظيف الموروث المادي واللامادي و عمد الى إيصال تفاصيل الرواية دون تنميقات لفظية ، فامتازت بالبساطة على الصعيدين.

فما مدى حضور الموروث الشعبي فيها؟

_ كيف وظف جلاوجي الموروث الشعبي وفيما تجلت عناصره ؟

_ مالهدف والغاية من توظيفه للموروث الشعبي في هذه الرواية ؟

لقد اتسع مصطلح التراث في الثقافة العربية كما الغربية ليشمل التراث الشعبي الحي والإبداع الشعبي بأنماطه المتنوعة والمتعددة مثل "النثرالفني في الحكايات والأمثال والألغاز والسير الشعبية وحتى سائر فنون التعبير الأدبية سواء كانت صياغات شعرية أو منظومات أو مواويل ،أو تتمثل في الفنون التشكيلية أو فن العمارة بما تتميز به من زخرفة ونقوش"[1].

فهو مصطلح يضم عدة فنون ولا يقتصر على فن يتيم فنجده يصول ويجول في جوانب عدة ويقحم نفسه في مواضيع جمة بل وكان مجسدا تفاصيله في العمارة والملابس التقليدية واللهجات وما إلى ذلك من سمات تميز الأقوام والشعوب عن غيرها.

"ذلك أن هذا الموروث الشعبي الذي تتناقله الأجيال المتعاقبة عبر العصور المتلاحقة تطرأ عليه تغيرات تشمل الشكل والدلالة سواء على صعيد المفردة اللغوية أو الظاهرة الموسيقية المصاحبة للكلمات المرددة في الأغاني الشعبية، و الأهازيج أو في القصص الشعبي أو السير التي يرويها المداح في حلقته أو الجدة للأطفال عن الغيلان و أخبار الجن و الملائكة أو غيرها "[2].

وبطبيعة الحال لابد أن تتغير كل هذه الفنون وتطرأ عليها عدة تغييرات فلكل عصر مقاييسه الجمالية ولكل عصر متطلباته ، فهو يأخذ من الأجيال السابقة مايلائمه ويناسب زمنه ، مما يفقد التراث قيمته وصورته الأصلية شيئا فشيئا لتضاف عليها لمسات عصرية.

قدم جبور عبد النور" تعريفا شاملا للتراث فقال: "هو ماتراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب ، وخبرات وفنون ، وعلوم ، في شعب من الشعوب ، وهو جزء أساسي من قوامه الإجتماعي ، والإنساني والسياسي والتاريخي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث"[3].

وترى نبيلة ابراهيم "أن التراث الشعبي بكل صوره وأشكاله يعد المكون الأساسي لحضارة لا يمكن أن يبرر قيمته وفاعليته إلا مصحوبا بحركة المد الحضاري هذا أو ذاك"[4].

[1] شمس الدين مرسي: الفنون الشعبية، ثقافة وحضارة، جريدة الفنون، ع18، الكويت، يونيو، 2002 م، ص60.
[2] بلحيا الطاهر: التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، 2000، ص 13.
[3] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م، ص 22.

فلا بد له أن يتطور مع تطور الإنسان ويتغير بتغيره فهو غير ثابت ذو طبيعة ديناميكية.

1_التراث الشعبي:

يعد التراث الشعبي أدبا شاملا لجميع مناحي الحياة ، فهو أدب عام ، كونه يشمل كل الفنون الشعبية من شعر وغناء ومعتقدات وعادات وتقاليد وأمثال وقصص شعبية ، ورقص وحرف تقليدية ، وكأنه وعاء يحوي أفراحهم وأحزانهم وحالاتهم العادية ، لا يتغافل عن أشياءهم ولو كانت بسيطة يحفظها ويتوارثها من جيل لآخر ، وهو أصدق الرسالات التعبيرية التي ترسلها الشعوب لمن يليها ، فلا تصنع فيها ولا تزييف للوقائع الأم ، والأغرب من كل ذلك حتى ولو طبعت عليه الخرافة أو الأسطورة فهي تصل من غير تحريف أو تشويه فحواها ، فأهدافها سامية وراقية رغم قلة حيلة مؤلفيها وضعفهم آنذاك.

كذلك يمكننا القول أن التراث الشعبي: "هو كل ما يتصل بالتنظيمات والممارسات الشعبية الغير مدونة والغير المقننة ولا تستمد خاصية الجبر والإلزام من قوة القانون والدستور الرسمي للدولة أو السلطة السياسية وأجهزتها التنفيذية المباشرة بقدر ما تستمدها مباشرة من خاصية الجبر و الإلزام الاجتماعي غير المباشر سواء ما يتصل منها بالعادات والأعراف والتقاليد والمعتقدات المتوارثة أو ما قد تفرضه الظروف والتحولات الإقتصادية والإجتماعية والتحولات الإقتصادية والإجتماعية والتاريخية المتغيرة من نماذج جديدة لمظاهر السلوك الشعبي بمختلف أشكاله "[5].

الفن. لأنه "مجموعة العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب "[6].

وهو تلك "الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الحيّة التي يعبر بها الشعب عن نفسه سواء استخدم الكلمة أو الحركة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة آلة بسيطة"[7]. لأنه ينتقل مشافهة وذلك عن طريق الحركات والإشارات وبالكلام الذي نتوارثه بالرواية والحكي عبر الأزمان ، ويشمل جميع مناحي الحياة ، "فعلى الرغم من أن الجماعة الشعبية تتميز بتكوينها المتماسك وبحرصها الشديد على المحافظة على التراث الشعبي بوصفه كلا لأنه يعد الوسيلة الوحيدة التي تعبر الجماعة الشعبية من خلالها عن تماسكها ؛ فإن الجماعة الشعبية تخضع من ناحية أخرى لعوامل التغير ووعيه سواء كان هذا التغيير اجتماعيا أو سياسيا أو أخلاقيا "[8]. فالمجتمع الشعبي متشبث بموروثه ، فمهما جرت من أحداث تهز كيانه لن تطمس موروثه ، فهو جزء لا يتجزأ من هويته.

ومن أشكال التراث الشعبي نذكر:

1_ الألغاز الشعبية:

وهي تساؤلات وامتداد لتفكير الانسان القديم كما تعد رياضة عقلية تنشط الذهن وتحفزه ، كما تعد عملا أدبيا شعبيا ، " فاللغز إذن مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين تلل الأصحاب في الأمسيات الجميلة ، ومن تم فإنه يتحتم علينا أن نبحثه بوصفه عملا أدبيا شعبيا أصيلا شأنه الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى وربما كانت الغاية من وضع الألغاز والأحاجي هي التسلية البريئة والثقافة الشعبية والتربية العلمية المباشرة في الغالب "[9].

[4] ابراهيم أبو طالب: الموروثات الشعبية اليمنية في الرواية اليمنية، دط، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص20.
[5] ادريس قرقوة: التراث في المسرح الجزائري، دراسة، ص40.
[6] فاروق خورشيد: عالم الأدب الشعبي العجيب، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991، ص8.
[7] حسن علي المخلف: توظيف التراث في المسرح، ص149.
[8] نبيلة ابراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ط1، دار العودة، بيروت، ص171.
[9] عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص13_14.

فقد كانت بمثابة الفقرة التي يرفه بها الأهل والأحباب في جلساتهم وأمسياتهم، فكانت الفسحة التي يتسلون بها، كما كان هدفها التوعية والتثقيف والتربية أحيانا.

2- الشعر الشعبي:

وهو تلك القصائد والألحان التي تحكي في طياتها تجارب صادقة مرت بها الشعوب فكانت على شكل نظم شعبي محبك السبك، وذو قواعد محددة امتاز بها عن غيره، وهو مرآة عاكسة للثقافة الشعبية بامتياز وقد تنوعت وتعددت أغراضه.

"كان للشعر الشعبي تعاملا خاصا مع هذا الفن أو التراث حيث كان يقطع مسافات كبيرة لمجرد جمع القصائد أو التعرف على شاعر أو شيخ أقدم منه في الميدان "[10].

والعلاقة التي ما بين التراث والشعر الشعبي علاقة أزلية لا نستطيع أن ننكرها فالشعر يصور ويفصح عن تجربة أو شعور صادق، والتراث يخدمه في هذا التصوير ويساهم في تقويته وتقريبه للمتلقي دون عراقيل وحواجز.

3_ النكتة الشعبية:

وهي لون فني من ألوان التراث الشعبي التي تبعد الهموم والأحزان عنا ، وتقال لتطييب الخاطر ورسم الابتسامة على الوجوه ، فتقال من باب المزحة والدعابة وتستحسنها الأرواح وتضحك وتبتهج بسماعها ، "والنكتة شأنها شأن باقي أشكال التراث الشعبي ، يلجأ اليها الانسان للتعبير عن حال نفسية يمر بها ؛ فيجد في سخرية النكتة وعدم المسؤولية قائلها متنفسا يقول من خلاله ما يختلج في نفسه من موضوعات وهواجس تقلقه ؛ وتجعل منه شديد التوتر والضعف أمام ما يحدث من أمور ، كي يحصل الانسان على راحته النفسية المنشودة لجأ الى خلقها كونها تعبر بطريقة مضحكة عن معاناته ، دون أن يحاسبه أحد على ما يقول وكونها وسيلة للترفيه ومن خلال هذا الترفيه يقول ما لديه وما يؤرقه من أفكار"[11].

4_ الأغاني الشعبية:

تعكس هي الأخرى المقومات الأساسية للثقافة الشعبية فهي تتكرر وتتردد في مناسباتهم. كما تضم عبارات وألفاظ معاشة فهي واقعية في الغالب ، وربما تحكي قصصا حية بين ثناياها.

فترسم ملامح الشعوب دون التطلع على تاريخها وإنما سماع كلمات تحكي أفراحها أو معاناتها.

5_ الأمثال الشعبية:

"المثل قول موجز سائر ، صائب في المعنى ،تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة "[12]

وهي تعبر عن فلسفة المجتمع نحو ما يحياه والمواقف المصادفة له وكيف يتخطاها ويتجاوزها وينقلها عبر الأجيال ، وذلك لسهولة ألفاظها وقصرها فهى موجزة ومعبرة في نفس الوقت وليست صعبة الإستيعاب.يتميز المثل بالايجاز و الوضوح كما أنه يحوي الكثير من التشبيهات والكنايات التي تجلي المعاني وتوضح العبارات فهو نهاية البلاغة كما قال عنه أغلب الدارسين.

[10] خالد ميهوبي: الشعر الشعبي الجزائري، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص5.
[11] حسن علي مخلف: توظيف التراث في المسرح، ص191.
[12] عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، دراسة تحليلة، ص12، نقلا عن لخضر حليتيم، صورة المرأة في الأمثال الشعبية، دط، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، ص16.

6_القصص الشعبية:

فالقصة الشعبية عبارة عن وعاء يحوي معتقدات وأفكار الشعوب التي جرت في الماضي وهي ذاكرة حية لكل من أراد الإطلاع على أحوالها وثقافتها ،كما ترمي لتهذيب طباع وسلوكات الناس في المجتمعات وتحثهم على التمسك بالقيم الأخلاقية والتي تحسدها في الشخصيات الرئيسية أو البطلة.

فالقصص الشعبية هي المرجع الموغل في القدم لأحاديث الناس ، المترجمة لأحاسيسهم وتطلعاتهم والراسمة لأحلامهم وآمالهم ، والناقلة لتجاربهم فهي قمة من قمم تراثنا الأدبي الخالد.

2- الموروث المادي:

تعد الثقافة المادية من المأثورات الشعبية حيث تعنى بدراسة الجانب الإبداعي الفني الجمالي ، والحرفي. لكل منتج ثقافي ورثناه عن الآباء والأجداد مثل الحرف التقليدية واللباس ويعرفها الأنثربولوجيون على "أنها المصطلح الذي يطلق على الأشياء الثقافية ، فهي الممتلكات الثقافية وهي تعبير مادي أو تجهيز ثقافي عن التغيرات التي يحدثها البشر في توافقهم وسيطرتهم على بيئاتهم الإجتماعية ، وهى لا تقتصر على الأسلحة والمعدات والأدوات ولكنها تمتد لتشمل كذلك المأوى والملبس"[13].

وهو عبارة عن الجزء الملموس وإبداع الممارسات البدوية فهو يتضمن "معالجة المواد الأولية الطبيعية كالطين والخشب ، طبقا لمعارف وفنون ومهارات تحصل بتراكم التجربة ويتم تداولها ونقلها بالمعاينة والمشاهدة ثم الممارسة فيحقنها الحرفي ، ويبدع فيها أحيانا ومثل ذلك المعارف والموضوعات والفنون الجانب اللامادي من التراث الشعبي"[14].

1_ حضور التراث الشعبي في رواية راس المحنه:

تعد رواية "راس المحنه" للأديب عز الدين جلاوجي من الأعمال الروائية الرائدة التي استطاعت أن تعالج موضوع المحنة الوطنية بلغة شاعرية وأدوات فنية وجمالية خاصة ، مبتعدة عن النقل الفوتوغرافي السطحي للأحداث ، وصفت لنا واقع الجزائر ما بعد الإستقلال وما عايشته من نكبات كان لها وقع مؤلم على أبنائها.

وقد وظف فيها الموروث الشعبي بنوعيه المادي واللامادي ، مما جعلنا نتخيل معالم وملامح الشعب الجزائري ونرسم كل تفاصيله بمخيلتنا ،يقول أحمد على مرسي " التراث يشمل الفنون والمعتقدات والأنماط السلوكية الحية التي يعتبرها الشعب عن نفسه سواء استخدم الكلمة أو الإشارة أو الحركة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة الأولية البسيطة"[15].

هو موروث أسلاف تركوا لنا نتاج خبراتهم ومعارفهم لنصل إلى التراث بوصفه موروثا فاعلا متطورا ، فالناس هم صناعه يصوغونه حسب ظروفهم وحاجاتهم ، فهم يمارسون نشاطاتهم كالرقص والغناء والحكي.... وكلها تنتقل عبر الأجيال.

" فهو يتسع ليشمل كل شيء ، العادات والتقاليد والأزياء والطقوس المختلفة في المناسبات كطقوس الزواج والميلاد ، والسبوع والوفاة والختان والزرع والحصاد والرعي ونحوها ، بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقاتهم بالآخرين"[16]

[13]بتصرف: فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، التراث الشعبي، دط، دار المعرفة الجامعية، الأردن ،2011م، ص105.
[14] مجلة يبد حامد، حريز، تصنيف العادات والتقاليد الشعبية، المأثورات الشعبية، ع12، أكتوبر، 1988م، ص33.
[15] أحمد مرسي: مقدمة في الفلكلور، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1986م، ص25.
[16] حلمي بدير: أثر التراث الشعبي في الأدب الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية ،2003م، ص13.

إضافة إلى ذلك فالتراث الشعبي يتميز بمجهولية المؤلف ، ولا شك أن القاعدة العامة هي: "إن ماهو معلوم مؤلفه لا يدخل في التراث الشعبي"[17].فهو نتاج الجماعة وعصارة مامرت به من تجارب.

وقد تناولت رواية راس المحنة ملامح عدة للموروث الشعبي الجزائري الذي لمسناه بين ثناياها ، وكان لابد من هذا التوظيف كونه يشكل رابطا قويا يجمعنا ويوحدنا ويميط اللثام عن جهود أجدادنا ، "فبزمننا هذا طغت فيه الماديات على المعنويات ، واندفع الناس إلى نسيان العادات والتقاليد ، والأخلاقيات والمثل العليا المكملة لشرائحهم الإجتماعية الأمر الذي أدى إلى بروز الحاجة الملحة والشديدة إلى ظهور أسلوب فكري وجديد يكون بمثابة الدم الذي يحرك كيان الذي أضنته الأوضاع التي أصابها الإنهيار"[18].

فمثل هذه الروايات تساهم وبشكل كبير في زيادة الوعي ، وتذكير الشعوب بماضيها النقي ، ولاسيما ما عانته من إستعمار مستبد ظالم وكيف تخطته وتجاوزته بشجاعة وبسالة ، فحتى قوة المدافع والأسلحة لم تستطع أن تطمس مقوماتها ورموز سيادتها ولا حتى عقيدتها ، بل حفزتها على التمسك به مهما كان الثمن غالي ليظل التراث وحده المقدس ، لا تلمسه أيادي المستعمر المدنس.

"فهذا المبدع الفصيح يلامس تخوم التراث الشعبي ، لما أدرك بوعيه الحضاري ، الهوة الحضارية بينه كذات مبدعة وبين الآخر الممثل للحضارة الغربية بمختلف مشاربها، الثقافية والإيديولوجية والإجتماعية ، والسياسية ، والإقتصادية.....إلخ. ويتحددهذا الوعي مع بدايات تشكل الرواية كشكل تعبيري"[19].

ونحن بصدد تقفي أثر بعض التوظيفات التراثية في الرواية:

1_الأمثال الشعبية:

يقول الأستاذ محمد رضا: "الأمثال في كل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم..... والأمثال ضرب من العبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال ، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية"[20]

فالمثل يعكس التفكير الناجح والسليم للفرد ورؤيته البعيدة للأمور وهذا مايؤكده توفيق أبو علي في قوله: "الحجة والحديث ، وقد مثل به تمثيلا وإمتثله وتمثله وتمثل به والمثال صفة الشيء وتمثل بالشيء: ضربه مثلا.

والمثل:الشبه ، يقال: هذا مثله ومثله ، كما يقال: شبهه وشبهه والمثل يدل على مناظرة الشيء للشيء ، والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ، والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين ، تقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه هومثله على الإطلاق"[21].

كما أن المثل عبارة مختصرة في جملة موجزة تضرب في حادثة مشابهة للحادثة الأم التي وقعت فيها أول مرة ؛ والتي كان فيها ميلاد هذا المثل وتسمى بالمورد ، "للمثل مورد ومضرب ، يقصد بالأول الموقف الذي صدر

[17] محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2002م، ص13.
[18] ينظر: مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دط، دار الوفاء، لدينا الإسكندرية، مصر،2000م، ص07.
[19] صالح جديد: توظيف التراث الشعبي في النصوص السردية العربية، ص209.
[20] نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دت، دط، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ص139.
[21] محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ط1، دار النفائس للنشر، لبنان ،1988م، ص32.

عنه أول مرة قيل فيها ، والثاني السياق الذي أعيد انتاجه من خلاله"[22] ، وهو قول مأثور موجز العبارة ، يتضمن فكرة صائبة أو قاعدة من السلوك الإنساني.

_"عندك سبع أرواح كالقط"[23]:

ويقال هذا المثل لمن يحالفه الحظ كل مرة في النجاة من الموت المحتوم ، فتكتب له حياة أخرى وعمر جديد بعد نجاته.

_**"اللسان الحلو يرضع اللبوة"**[24]:وهذا المثل ينطبق مع الذي يجيد استخدام الكلام المعسول لقضاء حاجته عند الناس ، فتجده يستغل الوقت الناسب والمكان المناسب ليمطر عليك بالإطراء والثناء والإجادة بمحاسنك حتى ينال منك ما يصبو إليه ، حتى لو كان الطلب صعبا ، عكس الذي يأتي طلبه جافا لا يستلطفه السامع فيرفضه ولو كان بسيطا لا يكلفه جهدا ، كوننا نحن البشر نحبذ من يثني علينا ويسمعنا حلو الكلام وهناك من يود لو تصل لحد المبالغة ولا سيما أمام غيره ليظهر مكانته بينهم.

_ **"الضيق في القلوب"**[25]:

ويقال لمن اشتكى ضيق مكان ما ، أو عبر عن تضايقه من تجمع الناس في مكان واحد فيتضايق بحجة ضيق المكان قيقال له الضيق ضيق القلوب وعدم اتساعها للجميع.

_ **"ازرع ينبت"**[26]:

ونسنحضر هذا المثل عندما يريد شخص إخبارنا بشيء مهم ، لكنه يبالغ بالمقدمات المطولة ، أو يتلبك شخص في وصف حادثة وقعت والسامع متلهف لمعرفة وقائعها.

_**"الذي فات مات"**[27]:

حينما يصبح أمرا وقعا وانتهى ، وما عاد ينفع الكلام بعده ، حين يصبح من الماضي ولا يمكن العودة به أو إليه ، يمكننا قول هذا المثل.

_ **"لايعجبك نوار الدفلى في الواد داير الظلايل**

ولا يغرك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل"[28]:

[22] عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص59.
[23] عز الدين جلاوجي: راس المحنة، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومه، الجزائر، 2003م، ص16.
[24] الرواية، ص55.
[25] الرواية، ص58.
[26] الرواية، ص83.
[27] الرواية، ص83.
[28]الرواية، ص95.

نقول هذا المثل حين يعجب شخص وينبهر بسحر إمرأة وجمال عينيها ، وهو لا يعلم عنها شيئا سوى بريق إسمها ، ونعومة يديها فيطلق في عدم الحكم على الشيء قبل معرفة كنهه واصله.

_ **"كل عطلة فاها خير"**[29]:

حين تتعطل أمورنا وتتأجل أحلامنا ، حين نجد أنفسنا متأخرين عن غيرنا ، وقد كنا بخط الإنطلاق معا ، وهم الآن فرحين أما نحن فما زادت إلا آلامنا. سيكون هذا المثل كمرهم يشفي ما ألم بنا.

_ **"حتى إيزيد ونسميه بوزيد"**[30]:

ويأتي هذا المثل ليقطع قول من يعجل أمرا ما ويخطط لشيء لا زال متأخر الحدوث.

_ **"سلامة راسك"**[31]:

مثل يهديك إياه كل من تصادفه بعد تعرضك لحادثة ما ، ونجوت منها ، أو مصيبة حلت بالمكان الذي كنت فيه ولم تلحق بك أي أذى.

_ **"الطول للشجر والعرض للبقر"**[32]:

يقال هذا المثل بغرض السخرية غالبا ، حينما يتهمك شخص ما بقصر قامتك ونحافتك ،سيكون هذا المثل صاعقة على رأسه وقتها.

_ **"لايبقى فالوادي إلا صخوره"**[33]:

وهذا المثل ينطبق مع نهاية الأشياء المفعمة بالحيوية والنشاط وبداية الجمود والسكون والبرود ، كما يطلق في أن الأصل في الشيء الثابت الذي لا يموت ولا يتغير والاستعمار الفرنسي رغم طول مكوثه في الجزائر الاأنه لا يصح الا الصحيح ةالأر رجعت الى أصحابها.

_ **"وحدها الجبال لا تلتقي"**[34]:

يصادف هذا المثل قول الذين يظنون أنهم لن يجتمعوا أبدا مهما طال بهم الزمن ، ولا سيما الذين يكنون العداء لبعضهم.

"الدنيا غدارة"[35]:

وهذا المثل لمن يظن أن الدنيا جنة ، وينسى أنها دار الإمتحان ، ولا بد من النكبات والأزمات التي يختبر الله فيها صبرنا عند الشدائد والمحن.

2_ **الشعر الشعبي:**

[29] الرواية، ص97.
[30] الرواية، ص126.
[31] الرواية، ص143.
[32]الرواية، ص187.
[33] الرواية، ص143.
[34]الرواية، ص204.
[35]الرواية، ص205.

ويعد أقدم الفنون الأدبية ، وهو "كل نص نتج عن نبض شعوري في قالب لغوي موسيقي سليم ، وخيالا في الملتقى"[36] ، فهو يفصح ما يختلجنا من مشاعر في حلة محكمة البناء.

"هو كلام يمثل معنوية وجمالية أرقى من مستوى لغة الكلام العادي بماله من مميزات تتعلق بالشكل والمضمون"[37].

وقد وظف جلاوجي الشعر الشعبي في روايته بشكل يخدم السياق ويتماشى مع أحداثها.

1_ "..**صالح المغبون..**

يا مغبون لخير عليك راح

ولهم عليك اتلايم وطاح

والناس كلهم فاقوا

بعدما كلاو الغلة وذاقوا"[38].

بكلمات بسيطة موزونة عبر بها الراوي عن حال صالح التي تدهورت بعد أن كان صالح الرصاصة ، بات صالح المغبون الذي تحفه الهموم من كل جانب.

2_ "**منيشي محبوب حب الجدة ومنيشي مكروه ولد بليس**

منيشي ركاب خيل العيره ومنيشي مزلوط مافديش

إذا قلت انت : لا لا حتى أنا ما نبغيش"[39]

كانت هذه الأبيات الرسالة التي عبر بها ذياب عن غضبه من الجازية بعد أن هجرته.

3_ "**خليونا ننطق في لعمر مره**

خليوناننطق في لعمر مره

بالله عليكم حياتنا صارت مره

واعمارنا راحت خساره

وتكسرت كي لجرة

خليونا ننطق في لعمر مره

خليونا نتكلم في لعمر مره"[40].

[36] أيمن البلدي: في الشعرية والشاعرية، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ج1، دط، ص10.
[37] أحمد زغب: الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، ط1، مطبعة موزار، الوادي،2008م، ص33.
[38] عز الدين جلاوجي: راس المحنة، ص40.
[39] الرواية، ص49.
[40] الرواية، ص54.

كانت هذه الكلمات المتنفس الوحيد لصالح الرصاصة والتي كان يهذي بها في نفسه محاولا الخروج من صمته الذي لن يجدي نفعا وسط هذه المدينة الظالمة التي هدت كل أحلامه.

4_ "نانا..

ن

ا

ن

ا

آه يا دفء نانا..

ياعش نانا..

ياحضنها..

يا صدرها....."[41].

أبيات نحس فيها بتفاصيل الجدة الجميلة ، في دفئها ، و سعة حضنها ، وحنانها ، ورقتها ، الجدة التي نستقي منها بمتعة لا مناهية تفاصيل الماضي الجميل ، الجدة التي تروي لنا حكايا الغيلان ومغامرات سندباد ، وحتى حكايات الجن والملائكة ، الجدة التي تسرح بمخيلتنا الصغيرة لتقذف بنا في عوالم المغامرة والمستحيل لننسج على منوالها عوالم فائقة الجمال.

5_ "خلات حارة الحفرة خلات.. راحو رجالها وبقاو لبنات...

خلات حارة الحفرة خلات.. راحو رجالها وبقاو لبنات..."[42].

3_ الأغنية الشعبية:

_ "يا راس المحنه لله كلمني

حر انت والا مملوك حطاني

والا انت خاين قبضو عليك خيانه

الا انت سارق في ليالي ظلمة

قتلوك الخيان اللي جاو معاك

هذا برك والا جيت براني

ياراس المحنة لله جاوبني"[43].

[41] الرواية، ص98.
[42] الرواية، ص154.
[43] االرواية، ص199.

وهي قصيدة للشاعر الصوفي لخضر بن مخلوف والتي غناها أكثر من فنان جزائري ، والتي اتسمت باللمسة الشعبية ، فهي تزخر بالصور التراثية وتصور قصة واقعية حدثت قديما كما نجدها أقحمت جانب الخرافة حين تكلم رأس الجمجة وفكت عقدة لسانه الذي نالت منه الديدان وأفنته من الوجود.

_ "آربيع ربعاني

كل عام تلقاني

آنا وخياني

في لجبل الفوقاني "[44].

ويعبر بها الأطفال عن مدى فرحتهم بحلول فصل الربيع ، الذي تبتهج فيه الحياة ، وتزهر المروج وتكتسي بالورود ، و لا شك أن التغني بالربيع هو قمه الزهو باستقبال عام جديد مزهر معطر بعبق الزهور والياسمين ، مفعم بفرحة الأطفال الأبدية بربيع بديع القسمات.

_"يا الرايح وين مسافر اتروح

تعيى وتولي

وشحال ندمو لعباد الغافلين

قبلك أو قبلي

وشحال شفت البلدان العامرين

والبر الخالي

اشحال ضيعت اوقات واشحال اتزيد

مازال اتخلي

يا الرايح لبلاد الناس تروح تعيى ما تجري"[45].

هي أغنية جاءت كرفض قاطع للهجرة والإغتراب عن الوطن ، كونها خطوة فاشلة ، فالإنسان لا يقوى على التعايش مع أجواء غير أجوائه ، وعادات غير عاداته ، وتقاليد غير تقاليده ، كما أنه لن يقدر على فراق موطنه. فكل الذين هاجروا ندموا لأن الوطن والأهل الذين ترعرعت بينهم لا يمكن لأي كان تعويضهم ، فهم جزء لا يتجزأ من أفراحنا و أحزاننا ، كونهم يشاركوننا نفس الماضي.

4_ المعتقدات الشعبية:

[44] الرواية، ص106.
[45] الرواية، ص211.

وهي مسلمات اتفق المجتمع على الإيمان بها ، والتي تساهم في إرساء دعائمه ، "وإذا كانت المعتقدات الشعبية متصلة بأعماق الطبيعة البشرية ، فإنها موجودة في الريف والمدينة ، عند الأمي والمتعلم ، ذلك أن التفكير البسيط المجرد من أصول المعرفة العلمية ، لايقتصر على الفئات مستويات السلم الإجتماعي لأفراد المجتمع الواحد"[46].

فهي لا تقتصر على فئة معينة ، أو طبقة دون أخرى ، في حين أنها متاحة لكل من يتقبلها ويؤمن بها وبوجودها.

من المعتقدات الذي وظفت في الرواية:

"أخبرتني نانا مرة أن اللقلق إنسان مثلنا تماما ولكنه توضأ باللبن فمسخه الله طائرا.."[47]. وهو إعتقاد من الإعتقادات التي كانت سائدة قديما.

5_ العادات والتقاليد:

والتي تشترك فيها المجتمعات لكنها تختلف في تفاصيلها من مجتمع لآخر ، ولكل منهم طريقته الخاصة في آدائها. "وتمتاز العادات والتقاليد بقدرتها وقوتها المعيارية ، فهي تتطلب امتثالا جماعيا ، وقيود وموافقة اجتماعية قد تصل في بعض الأحيان إلى حد الطاعة ، وتختلف العادات والتقاليد من مجتمع لآخر ، كما أنها تتغير بتغير الزمن"[48].

ومن العادات والتقاليد التي وظفت في هذه الرواية نذكر:

_اللباس الشعبي:

"من يقدر على ارتداء فستان الفرح"[49] ، وهي عادة ارتداء الفستان الأبيض في يوم الزفاف.

"البذلة الرمادية... سرواله القديم.."[50].

"قشابيته الدرعاء"[51]

_الأكل الشعبي:

"كسرة الشعير وطاس اللبن كانا طعامنا جميعا"[52] ؛ فهي الوجبة المفضلة لهم.

"بمثرد كسكس وطاس من الرايب"[53] ، وكذلك طبق الكسكس يعد من الأطباق التقليدية.

---

[46] محمد الجوهري: علم الفلكلور، ج1، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص62 ،63.
[47] عز الدين جلاوجي: راس المحنه، ص 178.
[48] فاروق أحمد مصطافي ومرفت العشماوي: دراسات في التراث الشعبي، ط1، دار الموضة الجامعية الإسكندرية، 2008م، ص198.
[49] عزالدين جلاوجي: راس المحنه، ص11.
[50] الرواية، ص32.
[51] الرواية، ص120.
[52] الرواية، ص 16.
[53] الرواية، ص19.

"ويتابع **قهوة الجزوة (التي تنضج على الجمر) تنصب من الإبريق إلى الفنجان فتملأه زبدا**"[54].

"لحوم..حبوب..خضر.. مشروبات.... العدس بالماء"[55].

"ملأت لي الفنجان حليبا.. أعطتني قطعة امبرجة"[56]. حوت رواية راس المحنة الكثير من الأكلات الشعبية التي عرفت في الجزائر وهي تعبر عن بصدق المعايشة و الايهام بواقعية الأحداث و جودة التعبير عنها من قبل الروائي عزالدين جلاوجي.

_ الزواج التقليدي:

"رحبت بالفكرة رغم أني لم أكن أعرف موقف عبد الرحيم.. ربما لأن عبد الرحيم يجب أن يتزوج الآن.. وربما لأني أعرف أخلاق الفتاة وأخلاق أسرتها....ودون مقدمات قال:

_ يا صالح أنت أخي وابنتي ابنتك.. لن أعارضك فيما تفعل... بعد أسابيع تم الزواج"[57]. فقديما كانت المرأة تزوج من قبل والدها ودون أن ترى أو تعرف زوجها ، فالعائلة تقرر أن كان العريس مناسبا زوجوه وان كان غير ذلك منعوه.

_ العمران الشعبي:

"أرضيته **مبلطة بالبلاط الأحمر**"[58] ، **"تنقلنا بين حجراته الواسعة أشبه بغرف الكنيسة المقفرة.. المرحاض.. البلاط.. الطلاء..وسقف الحلفاء والديس..ومصباح المازوت..الحوش..دار الضيوف..الفسحة.."**[59]

_مراسيم الوفاة:

"ها أمواج المعزين قد بدأت تتوافد بقوة على المنزل.. يشتد توافدهم كلما اقترب موعد دفن الجثة.. نواح نسوة يرتفع منذ الصباح.. نشيج ينبعث من الأصحاب الذين تكوموا عند الجدران.....يقبلون كتف أبي صالح قائلين:

_عظم الله أجركم"[60].ينقل الروائي مراسيم الوفاة والعزاء لأنها تعبير عن عادات شعبية اعتاد الناس عليها و لا يمكن أبدا أن يخرج أي واحد عن هذه العادات التي تؤسس لثقافة المنطقة.

الخاتمة

إن عملية توظيف الموروث الشعبي في النص الروائي تجربة جديدة خاضها الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي بنجاح ، حيث استطاع التوسع في استخدام عناصر التراث الشعبي بنمادجه السردية التقليدية ، وانتقل من واقع المستعين بالتراث الشعبي إلى واقع المنتج المبدع لهذا التراث ، فشكل تجانسا رفيعا بين النص وملامح الشعب الجزائري العريق ، وابتعد عن السرد الجاف الحافي ، فثمنه وأناره بالتراث الشعبي ، فكل حرف وكل

[54] الرواية، ص20.
[55] الرواية، ص32.
[56] الرواية، ص 105 ،106.
[57] الرواية، ص122.
[58] الرواية، ص28.
[59] الرواية، ص29.
[60] الرواية، ص133.

كلمة أو جملة نحسها مشبعة بالوطنية والتقاليد والثقافة الجزائرية فكأنه جندها كلها لتكون جيشا يحاول إفتكاك مكانتها الأزلية التي تحاول العبث بتفاصيلها الحضارات.

كما خلق منصة تراثية يعتليها شخوص من الواقع ، أسماؤهم مستمدة من تراثنا ، لباسهم رمز لعاداتنا وتقاليدنا ، مأكلهم ومشربهم كل ذلك ينم على أصالة المجتمع الجزائري ، فبالرغم من مكوث الإستعمار الفرنسي به لأمد طويل إلا أنه لم يتمكن من طمس هويته ولم يغير من معتقداته ولا تقاليده ، بل ظل على عهده وملته ، فالرجل ظلت العمامة و القشايبة سترته ، وكسرة الشعير وطاس اللبن والطعام والمبرجة... أكلته ، والمرأة ظلت تفتخر بحيائها وعفتها.

كان توظيف جلاوجي للتراث جميلا وقويا في الآن نفسه فهو لم يكتف بالوصف فقط بل أجاد وأفاد فقد أعادنا لزمن الأجداد وما علينا الأخذ به نحن الأحفاد ، من معتقدات وعادات وتقاليد وحب للبلاد والعباد.

ان التغني بأمثالنا العريقة وأغانينا الشعبية الملحونة يكسب النصوص الأدبية حمولة وقوة كونها تستند على ماض أصيل ، نرى الشخوص وكأنهم يخطون بمحاذاتنا ، ونسمع أقوالهم و أمثالهم و أشعارهم التي ينبعث منها عبق الأجداد ، وتفوح منها تجاربهم ، فهي الشذى الذي نعتز به فهي بقايا لا يحق لها أن تطمس أو تمحى ، وان عاشت معنا فلابد علينا من حمايتها من رياح التغيير والتطور التي قد تحرفها ، فقيمتها تكبر كلما تمسكنا بها ، وتمثلناها في حياتنا ، و اهتدينا بها وجعلناها نورا لعتمتنا و قوة تدفعنا للبناء حبا وسلاما للوطن الغالي .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1. بلحيا الطاهر: التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، 2000.
2. ابراهيم أبو طالب: الموروثات الشعبية اليمنية في الرواية اليمنية، دط، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004.
3. أحمد زغب: الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، ط1، مطبعة موزار، الوادي،2008م.
4. أحمد مرسي: مقدمة في الفلكلور، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1986م.
5. أيمن البلدي: في الشعرية والشاعرية، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ج1، دط.
6. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.
7. حلمي بدير: أثر التراث الشعبي في الأدب الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية،2003م.
8. صالح جديد: توظيف التراث الشعبي في النصوص السردية العربية.
9. عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
10. عز الدين جلاوجي: راس المحنة، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومه، الجزائر، 2003م.
11. فاروق أحمد مصطافي ومرفت العشماوي: دراسات في التراث الشعبي، ط1، دار الموضة الجامعية الإسكندرية، 2008م.
12. محمد الجوهري: علم الفلكلور، ج1، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
13. محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ط1، دار النفائس للنشر، لبنان، 1988م.
14. محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2002م.
15. نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دت، دط، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر.
16. ينظر: مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دط، دار الوفاء، لدينا الإسكندرية، مصر،2000م.
17. بتصرف: فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي عثمان، التراث الشعبي، دط، دار المعرفة الجامعية، الأردن،2011م.
18. حسن علي المخلف: توظيف التراث في المسرح.
19. خالد ميهوبي: الشعر الشعبي الجزائري، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.
20. عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

21. عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، دراسة تحليلة، ص12، نقلا عن لخضر حليتيم، صورة المرأة في الأمثال الشعبية، دط، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة.
22. فاروق خورشيد: عالم الأدب الشعبي العجيب، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991.
23. نبيلة ابراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ط1، دار العودة، بيروت.

ثانيا: المقالات

1. مجلة يبد حامد، حريز، تصنيف العادات والتقاليد الشعبية، المأثورات الشعبية، ع12، أكتوبر، 1988م.
2. شمس الدين مرسي: الفنون الشعبية، ثقافة وحضارة، جريدة الفنون، ع18، الكويت، يونيو، 2002م.